



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية الفنون الجميلة
قسم التربية الفنية / تربية تشكيلية

النقد الأيدلوجي

مدرس المادة
أ.د كاظم نوير كاظم

بابل
٢٠١٤



النقد الأيدلوجي

إذ نحينا الرجوع إلى الشيء أو مشابهة الشيء، وجدنا على الأعم، الرجوع إلى مذهب. وحينئذ يكون الفن في خدمة العقيدة والأخلاق، أو المذهب السياسي، والاجتماعي. وتكف الآثار الفنية عن أن تكون تصويراً دقيقاً وأميناً. بل تغدو وسائل للفعل، وما يحكم فيها إذ ذاك حكماً فاصلاً ليس مطابقتها (مشابقتها) للنموذج؛ لكن قدرتها على الإقناع، وتغيير الآراء أو الأفكار عند المشاهدين/القراء/المتلقين.

١. القيمة الدينية (الايقنة) والنقد .

استخدمت معظم الديانات الفن، ولعله مدين بأصله للسحر، إذ يبدو أن صور الحيوانات في العصر الحجري كان مصدرها السحر المتعلق بالصيد ، وعندما تتحدد العقائد يكون من مهمة الفن القيام بنشرها و تقديسها ، ولهذا خلقت جميع الديانات تصويراً أو فناً أو ما تسمى أيقونات لتخدم أفكارها أو أساطيرها.

فلكي نفهم النحت البوذي لابد من فهم أسطورة بوذا، وحتى نفهم الموضوع الديني يمكننا أن نقدر أصالة كل تأويل تقديراً أفضل. ومثل هذه الدراسات ضرورية ، أنها تعيد علينا مقاصد الفنانين، وتتيح لنا أن نحدد مقدار التأويل الشخصي، وأصالة الآثار الفنية . لكنها إن هيأت تربة صالحة للنقد؛ فأنها لا تقدم لنا أي معيار نقدي ، أنها تبين المعنى الحرفي للآثار لكنها لا توضح قيمتها، ولما كان بوسع الموضوع الواحد أن يفسح المجال لآثار شديدة التفاوت؛ فقد يمكن للايقنة أن تهمل آثاراً قوية ، لأنها لم تنطو على تجديد في الموضوعات ، وأن تترث عند أعمال رديئة، ولكنها مثيرة بمنهاجها .

ومن جهة أخرى، فكلما تحدد الموضوع تحديداً أكبر ، وكلما تعاضم اقتفاء الأثر للمنهاج العقائدي ؛ تضائل حظه في أن يكون رسالة شخصية وفنية . أننا اليوم نفنى بالرسم ذاته وبالإبداع التصويري، وبالجرأة في العمل الفني أكثر مما نعنى بالموضوع. ويبدو أن الاتجاه التعليمي في الفنوعيته، طأ، سواء أكان ذلك في الفنون التشكيلية أم في الفنون الأخرى. أن الفن نال استقلاله، ونال كل فن نوعيته، ونحن نرى أنه إذا حوى الفن صدى أو دعاءً لما هو إلهي؛ فينبغي أن نبحت عنهما في خيال الفنان المبدع، وفي صحة الأداء لا في الموضوع.

٢. القيمة الأخلاقية والنقد:

ذهبت الأخلاق غالباً، كما ذهبت الديانات إلى استخدام الفن من أجل تربية البشر. لقد حكم (أفلاطون) في الجمهورية على الفنون كسياسي وكأخلاقي ، مما قاده إلى مدح الموسيقى الحربية (حصن الدولة) ، لأنها تمجد الشجاعة الوطنية . و(أفلاطون) يرى أن فنون التصوير (الرسم والنحت) تزاوّل الإيهام والخداع البصري ، وتقتصر على الظواهر المحسوسة ، وهذا ما يراه أكثر الفنون خطراً. على أن هذه الأحكام التي أصدرها (أفلاطون) بلغت حداً مفرطاً من العمومية.



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية الفنون الجميلة
قسم التربية الفنية / تربية تشكيلية

أما أخلاقية (أرسطو) الجمالية فهي مبنية، بعكس ذلك؛ على علم النفس، ومنه جاءت نظريته في الفن التي تعدّه تطهيراً للأهواء (في المسرح خاصة) .

أن الفنون التشكيلية في اليونان، والعالم الروماني كانت في خدمة الدين، والأبطال، وكان حظ الأخلاق منها ضئيلاً. وفي العصور المسيحية كانت تستمد الأخلاق من الكتب المقدسة أو من الحكايات الورعة. وفي القرن الثامن عشر فصل دعاة الأخلاق عن الدين، ودعوا إلى الأخلاق الطبيعية.

أن الإشادة بالمغزى الأخلاقي في الآثار الأدبية والفنية، أمر شائع في القرن الثامن عشر، لجعل الفضيلة محبوبة والرذيلة مكروهة، والنقيصة نافرة. أن هذا الضرب من النقد سهل، ذلك أن الموضوع لما كان أدبياً بنوع خاص؛ أن الفنان يؤلف لوحته من الموضوعات المهدبة للنفوس، ويكثر من الحركات المعبرة، والنظرات المشغوفة، والإضافات الرمزية. ثم يأتي الناقد ليترجم عمل الرسام من جديد: أنها نقل لنص مترجم أصلاً. ومزية هذا العمل اليسير، والذي يثير السخرية تقريباً، هي في أنه يسمح بالتأويلات الوفيرة. فعلى مدى أكثر من قرن جمع النقد الفني بين التأملات الأخلاقية، والشروح الإخبارية على أن ما هو اشد خطراً من ذلك؛ أن هذا النقد حداً بأكثر من رسام إلى أن يفكر في أعماله كأديب وكأخلاقي.

ولقد قال (بودلير) فيما بعد: " أن مفكري العاطفة فنانون مخفقون على العموم. ولو لم يكونوا مخفقين؛ أذن لصنعوا شيئاً آخر غير العاطفة".

٣- القيمة السياسية والاجتماعية والنقد

أن السلطات السياسية استخدمت الفن، شأنها شأن الأديان، وسيلة للتأثير. فننون الشرق القديم مجدت الفراعنة، وملوك الكلدانيين وملوك الأشوريين والفرس...ومن النادر الا يكون الملك الذي استمر طويلاً، ملكاً عظيماً. فشخصيات مثل الأسكندر وفرت للفعاليات الفنية طرق مركزية للتعبير ووجهتها إلى أسلوب معين. أما في الغرب فإن إيطاليا هي التي بدأت في القرن الخامس عشر بتبجيل (الأمير) الذي منح رعايته للفنون والآداب في مقابل ذلك، وكانت خدمة الملك أعظم مطامح الفنانين. ومع الثورة تتلو عبادة الوطن عبادة الأمير، وهذا الدور لعبه الشعب أيام والثورة ونمو الفكر الديمقراطي، وهذا ما ظهر في لوحة الحرية تقود الشعب لـ (دي لاكروا). من الصعب في هذه الشروط الحكم على الآثار الفنية من وجهة نظر قومية على نحو دقيق. وتستطيع بعض الموضوعات أن تخلق أسلوباً، ولكن تبقى القيمة الجمالية مستقلة عن الموضوع. (أي المهم أن الفنان كيف عالج الموضوع جمالياً)، فالفن المعاصر يرى أن الشكل ومعالجته هو الأهم. وأن الموضوع لا يمثل شيئاً على الأغلب، بل قد تذهب إلى إن تفاهة الموضوعات الرسمية عقبة في وجه الفنانين. وكان (لينين) أن أدان ما اسماه: (صبيانيات فناني اليسار) أي التعبيريين والتجريديين!! ودعا إلى فن يخدم (مهمة البناء). وهكذا نجد تدخل السياسة بعيداً عن حرية الفن وتطلعها نحو فن جديد.



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية الفنون الجميلة
قسم التربية الفنية / تربية تشكيلية

الفن والعمل الاجتماعي

نما في القرن التاسع عشر في أوروبا فن المعارضة في مواجهة الفن الرسمي. فمنذ القرن السادس عشر كان فن الحفر (الكرافيك) وبسبب سهولة تنفيذه وانتشاره؛ الشكل الفني الوحيد بين الفنون التشكيلية التي تستطيع المعارضة استخدامه في وجه السلطة القائمة. ويبلغ الهجاء السياسي مع الرسام (دوميه) قوة فائقة ، فرسمه يبرز بقسوه غياب وادعاء السياسيين، والطبقة الغنية ، والقضاء الذي يحافظ على النظام الاجتماعي. على أن ما يصنع قوة هذه الطريقة، أي الالتزام، يشير أيضا إلى حدودها؛ فهل يمكننا حقاً أن نتذوق مثل هذه الآثار إذا لم نشارك الفنان أهواه؟. وهناك وجه آخر للفن الاجتماعي ، وهو واقعية السنوات بين ١٨٤٠ - ١٨٦٠ (في أوروبا وخاصة فرنسا) ، ويعتقد مفكري هذه النزعة ، بأن الفن ليس لهوا عابثاً ، وإنما ينبغي أن يستخدم لتحسين المجتمع، وذلك بأن يرينا بصراحة اجتماعية؛ الشقاء والرياء، ومساوئه الأخلاقية المتعددة الصور والأشكال. فغرض الفن أن يقودنا إلى معرفة أنفسنا؛ وذلك يكشف جميع أفكارنا حتى أكثر أفكارنا استتاراً ، وجميع ميولنا وفضائلنا، وردائلنا ونقائصنا ، وأن يسهم من ثم في تنمية كرامتنا ، وتحسين كياننا .

حمل الرسام الواقعي (كوربيه) نظرية الفن الاجتماعي على محمل الجد ، ولقد كان يفخر ، أن نقداً يذهب إلى تقويم الآثار الفنية بناءً على نبرتها الاجتماعية أو قدرتها الثورية؛ لهو نقد معقول تماماً ، ولكن ينبغي تكرار أن الموضوع لا يكفي. لاشك أن مثل وجهة النظر هذه تتيح لنا اصطفاً بالجمالية، المعالج ، لكن هذا الاصطفاء المتميز لا ينبئ في شيء عن قيمة الآثار الفنية. ذلك أن تأثيرها وإشعاعها يظلان مرتبطين بقيمتها الجمالية، ولا بد من معايير أخرى لبيان هذه القيمة.